

أضواء البيان

@ 287 { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } .
الظاهر أن القول في قوله : { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ } ، وفي قوله تعالى : { وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّسُوا لَهُمْ مَسَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ } ، وفي قوله تعالى : { قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا أَغْوَيْنَا } . وفي قوله تعالى : { وَيَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } ، وقوله تعالى : { فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا إِنَّكَ لَنَافِئُونَ } ، والكلمة في قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُتُبٌ آيَاتٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } ، وفي قوله تعالى : { قَالَُوا بَلَى وَلاَ كِنُ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } ، أن المراد بالقول والكلمة أو الكلمات على قراءة { حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ } بصيغة الجمع ، هو قوله تعالى : { لَمْ لَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } ، كما دلَّت على ذلك آيات من كتاب الله تعالى ؛ كقوله تعالى في آخر سورة (هود) : { وَلاَ يَزَالُُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَمْ لَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } ، وقوله تعالى في (السجدة) : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلاَ كِنُ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَمْ لَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } . .
وقوله تعالى في أخريات (ص) : { قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَمْ لَانَ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ } ، يدلُّ على أن أكثر الناس من أهل جهنم ، كما دلَّت على ذلك آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { وَلاَ كِنُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } ، { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } ، { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبِيلَهُمْ أَكْثَرُ الْوَالِينَ } ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ } . .
وقد قدَّمتنا الكلام على هذا في سورة (الأنعام) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } .

